

أضواء على العصر القبطي كامتداد لحضارة مصر القديمة

محاضرة تمهيدية

أصل كلمة "مصر" وأصل كلمة "قبط"

يُرَجَّح أن اسم مصر جاء من الكلمة العبرية "مصرايم" وهي في صيغة المثني، أي "المصريين" إشارة إلى مصر العليا ومصر السفلى^(١). وفي رأي آخر يُظن أن اسم مصر هو اختصار للعبارة المصرية القديمة: "ما (موضع) - سي (أبناء) - رع" أي "موضع أبناء رع". أي "موضع أبناء الشمس" و"رع" هو أعظم آلهة المصريين قاطبة^(٢).

أما عن أصل كلمة "قبط"، فمصر عند الفراعنة هي أيضاً "حوت كا بتاح - Hwt - Ka - Ptah" أي "بيت روح بتاح". والإله "بتاح"^(٣) هو معبود "منف" عاصمة مصر القديمة، ومن ثم، أُطلق اسم "حوت كا بتاح" على كل القطر. ومن هذه التسمية أخذ اليونان الاسم الذي عُرفت به البلاد في اللغات الأوربية حتى اليوم. فكلمة "جبط - γύπτ" هي الشكل المختصر للكلمة اليونانية ΑΙ ΓΥΠΤΙΟΣ (إي جيبتيوس) أي Egyptian أي مصري، بعد حذف البادئة ΑΙ واللاحقة ιος تاركة الكلمة γύπτ. والتي أصبحت في اللغة العربية "قبط"، ومنها اسم الدولة Egypt في اللغة الإنجليزية عند إبدال البادئة اليونانية ΑΙ بالحرف E في الإنجليزية^(٤). فكلمة "قبطي" تعني "مصري". ولقد كان العرب يلقبون مصر بـ "دار القبط". ولما كان سكان مصر من المسيحيين قبل قدوم الإسلام، فقد ارتبطت كلمة "قبط" بالمسيحيين، مع أنها لا تعني في الأصل إلا "المصريين".

وسوف أتكلّم فيما بعد عمّا يعنيه العصر القبطي.

حول التاريخ المصري القديم

لمصر أقدم تاريخ في العالم بلا نزاع إذ يرجع إلى سنة ٤٢٤١ قبل الميلاد. ولقد كُنّا إلى عهد قريب نبدأ التاريخ المصري بالملك مينا الذي حكّم مصر سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد، بعد أن وحّد قُطريها^(٥). إلا أن الدراسات الحديثة أثبتت أنه قد تمّ توحيد

١- دكتور القس منيس عبد الثور وآخرون، دائرة المعارف الكتابية، المجلد السابع، دار الثقافة، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م، ص ١٦٣ ونجد في سفر التكوين (١٠:٦، ١٣؛ ١١:٥٠) أن مصرايم كان الابن الثاني لحام بن نوح. وكان المصريون القدماء حاميين أصلاً. ونجد في كل من سفر حزقيال (٢٩:١٤، ٣٠:١٤) وسفر إرميا (٤٤:١، ١٥) ذكراً لمصر وفتروس، ممّا يرى معه البعض، أن مصر هنا تُستخدم في الإشارة إلى مصر السفلى، وفتروس إلى مصر العليا.

٢- الدكتور وسيم السبسي، مصر علمت العالم، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ١١٤

٣- كان للمصريين القدماء آلهة كثيرة، من أهمها "بتاح" إله الصناع، "حاي" إله النيل، "أوزوريس" إله العالم الآخر وقاضي الأموات، والإله "آمون" إله الهواء. أمّا الإله "را" الذي يكتبونه في العربية "رع" أي إله الشمس، فهو أعظم الآلهة وسيدها.

4. O.H.E. Burmester, *The Egyptian or Coptic Church, A Detailed Description of her Liturgical Services and the Rites and Ceremonies Observed in the Administration of her Sacraments*, Publications de la société d'archéologie Copte. Textes et documents, X, Le Caire, 1967, p. 1.

٥- تتفق مصادر التاريخ القديمة على أن مينا هو أول ملك لمصر كلها، ومؤسس الأسرة الأولى بها، وأنه أنشأ عاصمة جديدة عند ملتقى الدلتا بالصعيد أسماها "أنب - حج" أي الجدار الأبيض، أو القلعة البيضاء، وهي التي عُرفت فيما بعد باسم منف. ولكن لم يُعثر على آثار تحمل اسمه حتى الآن. ولذلك يعتقد البعض أن مينا هو نفس الملك المعروف باسم نعرمر، والذي وجدت له بعض الآثار، ومن أهمها لوحته الشهيرة بالمتحف المصري، والتي سُجل على وجهيها انتصاره على الشمال، وتوحيده لشطري الوادي تحت حكمه. وله قبر في أبيدوس.

دكتور سمير أديب، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص ٨٠٩

مصر قبل عصر مينا، وأن قيام الوحدة، حدث على أيدي فئة من الناس أطلقوا علي أنفسهم اسم "أتباع حورس"، وأن العاصمة كانت آنذ "أون" (هليوبوليس القديمة مكان عين شمس الحالية). وأن مصر كانت مأهولة بالسكان منذ أوّل عصور ما قبل التاريخ، وأن العصر الحجري القديم^(٦) ممثّل فيها بأدواته الحجرية البدائية. كما استقرّ الناس على شاطئيّ النيل في العصر الحجري الحديث. واستطاع العلماء إثبات قيام حضارة في هذا العصر في الدلتا أطلقوا عليها اسم "حضارة مرمدة بني سلامة"^(٧). كما أثبتوا قيام أكثر من حضارة في مصر العليا (الصعيد) تبدأ بالفيوم، ثم ديرا تاسا^(٨)، ووادي الشّيش^(٩)، والبداري^(١٠)، ثم نقادة الأولى، ونقادة الثانية^(١١). واستطاع المصري إبان هذه الفترات، أن يتقدّم بحضارته، وأتقن الكثير من صناعاته. أمّا النحاس فقد بُدء في استخدامه منذ حضارة البداري^(١٢).

والمعتدّ أنّ حضارة الدلتا كانت أكثر تقدماً ورقياً من حضارة الصعيد في عصر ما قبل الأسرات. فأوّل تقويم عرفه التاريخ نشأ في الدلتا في القرن الثالث والأربعين قبل الميلاد، أي قبل قيام الأسرة الأولى بنحو ألف سنة^(١٣). وأنّ توحيد مصر في ذلك العصر البعيد، كان من عمل أهل الدلتا الذين وصلوا في ذلك الوقت إلى درجة لا بأس بها من الرقي والتقدّم. ثمّ انهارت هذه الوحدة بعد فترة. وانقسمت البلاد مرّة ثانية وخضعت أقاليمها لحكومتين إحداهما في الوجه القبلي بالقرب من إسنا الآن، والثانية في الوجه البحري عند تل الفراعين^(١٤) الحالية في غرب الدلتا.

ولقد ارتبط التاريخ لمصر القديمة بتاريخ لفرانعتها، فكان المصريون يرون في ملكهم إلهاً يحكم البشر. لذلك لم يكن مستغرباً أن يدعي الفرعون أنه الابن الشرعي لإله الشمس "رع" أعظم الآلهة طراً وسيدهم^(١٥)، فتناءى بنفسه عن أن يكون واحداً من البشر^(١٦). فالملك إله بين الناس، وإنسان بين الآلهة^(١٧)، وبصفته إلهاً فهو الدولة، وهو النقطة المركزية التي تتجمّع فيها كلّ الخيوط التي تهيمن على شؤون الحكم في البلاد. وكلمته هي القانون^(١٨). وهو ممثّل لكلّ الشعب ورئيس الكهنة

٦- تُقسّم حضارات عصر ما قبل التاريخ في مصر إلى أربعة أقسام:

- حضارات العصر الحجري القديم، وينتهي حوالي سنة ١٠,٠٠٠ قبل الميلاد.

- حضارات العصر الحجري المتوسط، ترجع إلى ما بين سنة ١٠,٠٠٠ - ٨,٠٠٠ قبل الميلاد.

- حضارات العصر الحجري الحديث، ترجع إلى ما بين سنة ٦,٠٠٠ - ٥٥٠٠ قبل الميلاد.

- حضارات عصر ما قبل الأسرات، ترجع إلى سنة ٤٥٠٠ قبل الميلاد.

نخبة من العلماء، تاريخ الحضارة المصرية، العصر الفرعوني، المجلد الأوّل، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٣٨

٧- "مرمدا بني سلامة" تقع عند حافة الصحراء شمال غربي القاهرة. ومن العجيب أنّ سكان مرمدا بني سلامة، كانوا يدفنون موتاهم ووجوههم متّجهة نحو الشرق. على عكس طريقة دفن إنسان العصر الحجري الحديث، الذي كان يُدفن وهو في وضع القرفصاء على جانبه الأيسر، ورأسه نحو الجنوب، ووجهه نحو الغرب.

٨- قرية صغيرة على الشاطئ الشرقي للنيل، بين أسيوط وأخميم.

٩- قرية تقع شرقي مغاغة.

١٠- مركز البداري بمحافظة أسيوط.

١١- حضارة عصر ما قبل الأسرات تُعرف باسم حضارة نقادة. ويقسمونها عادة إلى حضارة نقادة الأولى، وحضارة نقادة الثانية.

انظر: نخبة من العلماء، المجلد الأوّل، مرجع سابق، ص ٦٠

١٢- الدكتور محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، القاهرة، ١٩٦٦م، تحت كلمة: مصر.

١٣- نخبة من العلماء، المجلد الأوّل، مرجع سابق، ص ٧٠

١٤- تقع تل الفراعين إلى الشمال الشرقي من مدينة دسوق.

١٥- ظل إله الشمس "رع" أهم الآلهة المصرية طوال التاريخ المصري القديم حتى جاءت المسيحية لتبشّر بالإله الحقيقي وابنه يسوع المسيح "شمس البر"، الذي به خلق السماء والأرض وكلّ ما فيها.

١٦- تحكي بردية تُسمّى "بردية وستكار Westcar Papyrus" كيف أنّ الملك بولدون أبناء للإله "رع" وأنّ الآلهة هن اللاتي ساعدن في ولادتهم وهبّان لهم التيجان. وصوّرت الملكة حتشبسوت على جدران معبدها البحري بالأقصر، على أنّ أمّها حملت من الإله آمون نفسه. فكان الدين وسيلة من وسائل إقناع الشعب بقبول حكم شخص معيّن.

١٧- دكتور القس صموئيل حبيب وآخرون، دائرة المعارف الكتابية، الجزء السادس، دار الثقافة، ١٩٩٧م، ص ٣٦

والملك أيضاً هو إله بين الآلهة.

انظر: جون يويوت Jean Yoyotte، مصر الفرعونية، ترجمة سعد زهران، مجموعة الألف كتاب، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٣٦

١٨- نخبة من العلماء، المجلد الأوّل، مرجع سابق، ص ١١٠، ١١١

الأوحد أمام الآلهة، فهو الكاهن الأكبر لكل الآلهة، أمّا رئيس الكهنة في أي معبد، فهو نائبٌ عنه في خدمة الآلهة. وكلُّ القرابين تُقدّم في جميع المعابد باسم الملك. وكلُّ الحكومة هي مجموعة كبرى من الموظّفين يقومون على تنفيذ أوامر الملك، ويعملون بوحى من الملك الإله. وكلُّ الأرض والمناجم هي ملكٌ للملك، والقضاة يحكمون طبقاً لإرادة الملك. فالعدل الإلهي والحق الإلهي لا يستطيع تفسيره إلا الملك^(١٩). أمّا الشعب فيُجيد هتاف ”مات الملك - يحيا الملك“، فالملك هو الصّانع لحياة شعبه، والذي لا غنى عنه لبقائها.

هذه هي العلاقة التي قامت بين الملك وشعبه بطول الأزمان، وهي ميراث تأصل في حياة الشعوب، حتى ظلّت الصُّورة على ما هي عليه وإن تباينت تفصيلاً بين الحين والحين، طبقاً لاختلاف الحضارات وحتمة التطوُّر التاريخي للشعوب.

ومنذ بداية التاريخ المصري القديم، ومن قبل بُناة الأهرامات^(٢٠)، أدرك المصريون أنّ الإنسان جسد وروح (كا)، وأنّ الإنسان حين يموت، تنفصل الروح (الكا) عن الجسد. فإذا استطاعوا حفظ الجسد بطريق التّحنيط، ووضعوه في مقبرة قويّة محصّنة، مع بعض التّعابيد لتحمي الميت في رحلته الثّانية، فمن الممكن في مرحلة تالية، أن يعود (الكا) إلى الجسد، فيعود الإنسان إلى الحياة مرّة أخرى. ومن هذه العقيدة التي ترسّخت في وجدان المصريين القدماء، نبتت كلُّ مظاهر حضارتهم الدّينيّة العظيمة.

إطالة موجزة على حضارة مصر القديمة

إنّ زيادة اهتمام المصريين بالمسكن الأبدي عن المسكن الدّنيوي، لهو أمر يُضرب به المثل. فلا عجب أن كانت مقابر طيبة تضاهي المعابد المعاصرة جمالاً وفخامة. وفي وادي الملوك، حُفرت مقابر الفراعنة تحت الأرض في ممرّات طويلة، وصحون وأهياء وآبار، وتُنقشت بمناظر غريبة، هي رسوم مجموعات جنائزيّة تخصّ الملوك؛ فثمة فصول عديدة من آدابهم تصوّر وتشرح الأساليب المختلفة للرّحلات التي سيقوم بها الملك على مركب الشّمس عبر العالم الآخر الذي يمجج بكائنات عجيبية^(٢١).

ولقد كانت قناعة المصري القديم بالعالم الآخر والحياة الأخرى، دافعاً قوياً لتقدّم الطبّ لديه، فكانت عمليّة التّحنيط لحفظ جثة المتوفى من الفساد، مجالاً واسعاً لدراسة كلِّ مكوّنات الجسم الدّاخلية، وكثير من وظائف الأعضاء فيه. وكان للجراحة شأنٌ كبير، وصار أسلوبها في غاية الدّقة والنّظام. ولما كان المصري القديم يعتقد أنّ القلب هو أهم أعضاء الجسم، وأنه مركز الانفعال، لذلك لم يعمد الحنّطون إلى فصل القلب أثناء عمليّة التّحنيط، فتركوه محلّه متّصلاً بأوعيته الكبرى^(٢٢). وكان ختان الذّكور من أقدم العمليّات الجراحية في مصر الفرعونية. ويقول هيرودوت (٤٨٤-٤٢٤ ق.م): ”إنّ الذين زاولوا الختان من أقدم العصور، هم المصريون والآشوريون والأحباش ... أمّا غيرهم من الشعوب، فقد عرفوه عن المصريين. وبرغم ذلك، لم تكن عمليّة ختان الذّكور فرضاً على الشعب كما صارت كذلك فيما بعد عند اليهود، أو سنّة عند المسلمين^(٢٣)“.

ويقول وارن داوسن Warren R. Dawson (١٨٨٨-١٩٦٨م): ”إنّ المصريين يتمتّعون بأعلى سُمعة في كفاءتهم الطّبيّة، وإنّ حكمة المصريين تتمثّل في ’الأمثال‘ ولكنهم أيضاً ذوو مقدرة في الفلسفة الحقّة والعلوم النّظرية، والتّجريدات، وبقينا أهمّ أناسٍ موهوبون، لهم مقدرة فذة في الإنجازات العلميّة ... إنّ أسس علوم الطبّ وُضعت في مصر منذ أكثر من خمسين قرناً، بما

١٩- نفس المرجع، ص ١١٠، ١١١

٢٠- بُنيت الأهرام قبل إبراهيم بـ ١١٠٠ سنة طبقاً للمتحف البريطاني، وفي الحقيقة قبل إبراهيم بثلاثة آلاف سنة طبقاً لمانيتون، وهو ما تأكّد أخيراً بدراسة عالم المصريّات الفرنسي أندريه بوشان حين أخذ عينات من موميوات الأسرة الثّانية وأحضرها للفحص بالكربون ١٤ سنة ١٩٧٣م، فكانت أقدم ممّا يقوله المتحف البريطاني بألف وأربعمائة سنة.

انظر: مقال للدكتور وسيم السيسى بجريدة المصري اليوم بتاريخ ٢٤ نوفمبر سنة ٢٠١٧م.

فمن ثم، لا علاقة لليهود بحضارة مصر القديمة بأيّ وجه من الوجوه.

٢١- جان يويوت Jean Yoyotte، مرجع سابق، ص ١٥١

٢٢- دكتور سمير يحيى الحمال، تاريخ الطب والصّيدلة المصريّة في العصر الفرعوني، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ١١١

٢٣- نفس المرجع، ص ١٣٢

لا يدع مجالاً للشك“ (٢٤).

ويقول روبرت. و. سلوي Robert W. Sloley: ”لم يُعد خافياً أن علوم الإغريق التي عرفتھا الدُّنيا ليست من ابتداعهم، ولكن أولئك الذين كان بهم ظمناً إلى المعرفة والرَّحلة في سبيلها، أتوا إلى مصر. وعلى هذه الأرض رأوا المصريين في مواقع العمل وراعهم ما رأوا. هنا على هذه الأرض، وجدوا القواعد الأولى في الرِّياضيَّات والعلوم التي قاموا بنشرها أخذاً عنهم. فمن خلال الإغريق وصل ثراث مصر إلى باقي العالم“ (٢٥).

لقد أثر الطَّب المصري القديم بدرجة كبيرة على الطَّب الإغريقي، ويظهر ذلك واضحاً من مؤلِّفات بيدانيوس ديوسقوريدس Pedanius Dioscorides (٤٠-٩٠م)، وكلوديوس جالينوس Claudius Galenus (١٣٠-٢٠٠م)، وبليني الكبير Pliny the Elder (٢٣-٧٩م)، وغيرهم من أطباء الإغريق والرُّومان، حيث نقلوا من البرديَّات (٢٦) المصريَّة مباشرة - عندما وفدوا إليها - كلَّ العلوم المصريَّة إلى بلادهم، وقد لُقنت هذه العلوم بواسطة الإغريق إلى أطباء القرون الوسطى بأوروبا حيث كانت من أهم علوم الطَّب حتى القرن السَّابع عشر والثَّامن عشر للميلاد (٢٧).

ودليل اقتباس الإغريق القُدماء للعلوم الطَّبيَّة المصريَّة نجده واضحاً في البرديَّات الطَّبيَّة والجراحيَّة المصريَّة التي تُعدُّ من أهم الدُّسائير الطَّبيَّة العالميَّة وأوَّلها ظهوراً، حيث يرجع زمن كتابتها إلى ما قبل سنة ٣٢٠٠ ق.م. وفي هذه البرديَّات نجد الاصطلاحات الطَّبيَّة التي سمع بها العالم لأوَّل مرَّة في الطَّب المصري القديم، وهو ما نجده واضحاً في برديَّة إدوين سميث (٢٨) Edwin Smith الجراحيَّة. بمسافة زمنية تقرب من ٢٠٠٠ سنة قبل ورودها في مؤلِّفات الإغريق الطَّبيَّة.

وتقدِّم علم التَّشريح لدى المصريين القُدماء (٢٩). وبعد العثور على برديَّة إدوين سميث Edwin Smith الجراحيَّة عرفنا أسماء بعض الأمراض عند الفراعنة وعلاجها. وانتقلت الحضارة الطَّبيَّة والصَّيدليَّة المصريَّة القديمة إلى كريت، ومنها إلى كلِّ جُزُر اليونان حيث زادوا عليها وأضافوا إليها. وتكوَّن خليط من الحضارتين الفرعونيَّة والإغريقيَّة، تبلور إلى نتاج وتراث حضاري حمل مشعله الأقباط طوال العصر الرُّوماني وإلى ما بعد دخول الإسلام في مصر لقرون طويلة (٣٠).

لقد قدَّم كثيرٌ من سُكَّان اليونان إلى مصر في أفواج كثيرة خلال القرن السَّابع قبل الميلاد، وكونوا مستعمرة كبيرة لهم في شمال الدلتا، أسموها ”نقراطيس“، وتبع ذلك تعلم الكثير منهم كافة العلوم المصريَّة التي كانت تُدرِّس في مختلف المعاهد

٢٤- دكتورة نعمات أحمد فؤاد، شخصيَّة مصر، الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، الطَّبعة الخامسة، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٤١

العبارة التي ذكرتها الدُّكتورة نعمات أحمد فؤاد وهي: ”ولكنَّهم ذوو مقدرة في الفلسفة الحقَّة والعلوم النظرية والتجريدات“، لم ترد هكذا في النُّص الأصلي الذي ذكره وارن داوسن، حيث يقول: ”وبالرَّغم من أُم غير قادرين على الفلسفة الحقَّة والتفكير المجرّد ... إلخ!!“، وهو ما تعجَّب له كثيراً، إذ أن دراسة حضارة مصر القديمة تقول بغير ذلك.

Warren R. Dawson, *Medicine, in The Legacy of Egypt*, Oxford, 1957, p. 179.

25- Robert W. Sloley, *Science, in The Legacy of Egypt*, Oxford, 1957, p. 178.

انظر: دكتورة نعمات أحمد فؤاد، مرجع سابق، ص ٤١

٢٦- تُعرف البرديَّات في كافة اللُّغات الغربيَّة باسم Papyrus وهي كلمة مأخوذة من القبطيَّة **πα ποτρο** أي ”الخاصة بالملك“، بسبب أن ملوك المصريين القُدماء هم وحدهم الذين كان لهم حق تصنيع البرديَّات.

٢٧- دكتور سمير يحيى الجمَّال، تاريخ الطَّب والصَّيدلة المصريَّة في العصر الفرعوني، مرجع سابق، ص ١١٤

٢٨- إدوين سميث هو عالم مصريَّات أمريكي (١٨٢٢-١٩٠٦م) وقد قام بشراء هذه البرديَّة سنة ١٨٦٢م، من تاجر يُدعى مصطفى أغا بالأقصر، وظلت البرديَّة في حوزته حتى وفاته. وانتقلت البرديَّة إلى الجمعيَّة التَّاريخيَّة بنيويورك. وتُرجمت محتوياتها ونشرت سنة ١٩٣٠م بواسطة العالم الأمريكي جيمس هنري برستد James Henry Breasted (١٨٦٥-١٩٣٥م). وهي موجودة اليوم في أكاديمية نيويورك للطَّب. ويعود تاريخ البرديَّة إلى حوالي سنة ١٦٠٠ ق.م، ويعتقد أنها نسخة من مخطوط أقدم يعود إلى سنة ٣٠٠٠-٢٥٠٠ ق.م، وقد يكون كاتبها هو الطَّبيب المصري القديم إِمحوتب، وبذلك تكون أوَّل وثيقة طبيَّة عرفتھا البشريَّة.

James Henry Breasted, *The Edwin Smith Surgical Papyrus*, volume I, Chicago, 1930.

٢٩- دكتور سمير يحيى الجمَّال، تاريخ الطَّب والصَّيدلة المصريَّة في العصر اليوناني - الرُّوماني، الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ١١٤، ١١٥. في أوائل سنة ٢٠٠٢م اكتُشفت مقبرة في منطقة سقَّارة لكبير جراحي مصر القديمة من الأسرة السَّادسة، وبداخلها مجموعة مشارط ومباضع.

٣٠- دكتور سمير يحيى الجمَّال، تاريخ الطَّب والصَّيدلة المصريَّة في العصر اليوناني - الرُّوماني، مرجع سابق، ص ١١٥

التعليمية العليا والملحقة بالمعابد الكبيرة وأشهرها مُدُن أون (هليوبوليس)، ومنف وسائس وأبيدوس وطيبة وغيرها. وبعد حصول هؤلاء الطلاب الإغريق على تعليمهم العالي، عادوا إلى مُدُنهم الأصلية، ومعهم نُسخ من كافة المؤلفات العلمية والطبية المصرية، حيث نشرها هناك بدون الإشارة إلى أصحابها الأصليين^(٣١).

ويقول "نيتولتسكي" Netolitzky في كتابه "الطب الشعبي المقارن": "إن كثيراً من العلاجات والمستحضرات العلاجية المعروفة في أوروبا منذ القرون الوسطى، تحمل الطابع المصري القديم. كما أن الكثير من هذه الوصفات لازال مستعملاً في مصر وفي كثير من بلدان الشرق"^(٣٢).

ويقول المؤرخ الأمريكي وليام جيمس ديورانت William James Durant (١٨٨٥-١٩٨١م): "حسبنا أن نذكر من معالم حضارتها (مصر) مَوضَعها بالزراعة، والتعدين، والصناعة، والهندسة العملية. وأما في أغلب الظن هي التي اخترعت الزُجاج، ونسيج الكتان، وأما هي التي أحسنت صنع الملابس، والحلي، والأثاث، والمساكن، وأصلحت أحوال المجتمع وشؤون الحياة. وإن المصريين أول من أقاموا حكومة منظمة نشرت لواء السلام والأمن في البلاد، وأهم أول من أنشأ نظام البريد والتعداد، والتعليم الابتدائي والثانوي، بل إهم أول من أدخلوا نظام التعليم الفني لإعداد الموظفين ورجال الإدارة.

وهم الذين ارتقوا بالكتابة، ومهضوا بالآداب والعلوم والطب. والمصريون على ما نعرف أول من وضع دستوراً واضحاً للضمير الفردي، والضمير العام. وهم أول من نادى بالعدالة الاجتماعية، وبالاقتصار على زوجة واحدة، وأول من دعا إلى التوحيد في الدين، وأول من كتب في الفلسفة، وأول من نهض بفن العمارة والنحت، وارتقى بالفنون الصغرى إلى درجة من الإتقان والقوة، لم يصل إليها - فيما نعرف - أحد من قبلهم، وقلما باراهم فيها من جاء بعدهم"^(٣٣).

ويقول عميد الأدب العربي دكتور طه حسين: "الكنيسة القبطية مجدٌ قديم"^(٣٤). وتضيف الدكتورة سميرة بحر^(٣٥) بقولها عن الكنيسة القبطية: "هي في تراثها العريق قد ورثت الحضارة المصرية في كافة مناحيها في اللغة والأدب والفن، حتى أن من أراد أن يعرف عن مصر القديمة، لا مندوحة له أن يتوقف أول ما يتوقف عند الكنيسة القبطية، ويتأمل تراثها وما حملته في أحضانها عبر التاريخ، وما وعته وحافظت عليه من ذخائر الماضي التليد"^(٣٦).

وسوف أتبع البنود التي وردت في الفقرة السابقة مباشرة، حيث أضيف إليها ما وجدته لازماً، لكي أتكلّم عن موضوعنا الرئيسي، وهو: أضواء على العصر القبطي كامتداد لحضارة مصر القديمة، وذلك في البنود التالية:

(١) اللغة القبطية في مصر المسيحية هي مرحلة من مراحل تطور اللغة المصرية القديمة.

(٢) الأدب في العصر القبطي كامتداد للأدب في مصر القديمة.

- مدرسة الإسكندرية اللاهوتية.

- الرهبنة القبطية مهذب الرهبانات في كل العالم.

(٣) الفنون والصناعات بأنواعها في العصر القبطي كامتداد لحضارة مصر القديمة.

٣١- نفس المدجع، ص ١٢٥

٣٢- نخبة من العلماء، تاريخ الحضارة المصرية، العصر اليوناني والروماني والعصر الإسلامي، المجلد الثاني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٢٤٦

٣٣- وليام ديورانت، قصة الحضارة، الشرق الأدنى، الجزء الثاني من المجلد الأول، ترجمة محمد بدران، القاهرة، ١٩٧١م، ص ١٨٥-١٨٦
انظر أيضاً: دكتور سمير يحيى الجمال، تاريخ الطب والصيدلة المصرية في العصر الفرعوني، مرجع سابق، ص ٦٠

٣٤- الدكتور طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، القاهرة، ١٩٣٨م.

٣٥- حاصلة على الدكتوراه عن موضوع 'الأقباط في الحياة السياسية المصرية أثناء الوجود البريطاني'، من قسم العلوم السياسية، بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة. ومن أشهر مؤلفاتها: 'الأقباط في الحياة السياسية المصرية' سنة ١٩٧٩م، و'المدخل لدراسة الأقليات' سنة ١٩٨٢م.

٣٦- دكتورة سميرة بحر، الأقباط في الحياة السياسية المصرية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٦-٧